

ندوات تلفزيونية - قناة سوريا الفضائية - الايمان هو الخلق - الدرس (٣٦-٩٥) - مقومات التكليف : الشهوة - شهوة المال
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-٠٩-٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

ترحيب :

أيها السادة المشاهدون ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وأهلاً ومرحباً بكم في هذه الحلقة الجديدة ، من برنامجكم الإيمان هو الخلق ، مع أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين بدمشق .
أهلاً وسهلاً ومرحباً بكم سيدي .

مقدمة تذكيرية :

في حلقات سابقة توقفنا عند الشهوة ، وعند تعريفها ، وعند إفرازاتها ، وعند ما جاء به الشارع ، وجعلها في المجال الصحيح ، وعند ما أتى الشارع ، ونبهنا من خلال البيان النصي والعقلي لنتجنب مزالق هذه الشهوة ، ولنتجنب استخدام الشهوة في مجالات التي لا يريدنا الله ، لأنها تضر بالإنسان .

وتبيننا من خلال الحلقة الماضية بأن العلاقة واضحة بين ما نهى عنه القرآن والسنة النبوية بين المنهيات ، وبين نتائجها بعلاقة علمية بين سبب ونتيجة ، وأن كل معصية لها نتائج في الحياة الدنيا قبل الآخرة .

وتحدثنا في الحلقة الماضية عن شهوة الجنس ، وأغلقتنا الستار إن صح التعبير لنبتدئ في مسألة هامة جداً ، هي شهوة المال ، كيف نظر إليها الشرع ، وكيف أطرها ، وكيف جعل لها حدوداً ونقاط ، إذا خرج الإنسان مركبته في هذا المنحى دمر نفسه ، ودمر مجتمعه ، ونستذكر قول الله تعالى :

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٤)

إذاً : هناك زينة ، كما تفضلت في حلقات سابقة :

﴿ مِنَ النِّسَاءِ وَالبَيْنِ وَالفَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالنَّعَامِ وَالحَرثِ

ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

(سورة آل عمران الآية : ١٤)

أستاذ علاء ، في أول هذا اللقاء الطيب
نقول : إن المال قوام الحياة ، فالنفس
في قضية المال بين تطرفين : إما أن
الناس يعبدونه من دون الله ، فيرتكبون
كل المعاصي والآثام من أجل الحصول
عليه ، وعلى حساب دينهم وقيمهم
ومبادئهم ، وإما أن ينبذوه نبذاً غيبياً
فيفتقرون إليه بعد حين .



إن الإسلام وسطي ، المال قوام الحياة ، والمال قوة كبيرة في الإنسان ، والمال حيادي ، وبإمكان
الإنسان أن يرتقي بالمال إلى أعلى مراتب الجنة ، وبإمكانه أن يصل بالمال إلى أدنى دركات
المال ، المال حيادي ، وكل الحديث السابق أن الإنسان مخير ، ولأنه مخير كل حظوظه من الدنيا
حيادي ، وكل إمكاناته حيادية ، يمكن أن توظف في الخير ، أو في الشر ، وكل خصائصه حيادية
، فالمال قوام الحياة ، يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا** ﴾

(سورة النساء الآية : ٥)

قيام البشر بالمال .



تصور شاباً حصل على عمل بدخل
محدود ، فتزوج ، ارتاحت نفسه ،
سكن بيتاً ، الله عز وجل جعل في المال
قياماً للحياة ، والذين يعبدونه من دون
الله أخطؤوا ، والذين يهملونه أخطؤوا ،
فالإسلام وسطي ، كأن المال خط
عمودي عليه نقطتان وعلامتان
واضحتان ، فوق هذا الخط تطرف ،
وتحت هذا الخط تطرف ، إن أهملته

فقد تضع كرامتك من أجله ، وإن بالغت بتعظيمه ضاعت مبادئك من أجله .

((**من جلس إلى غني فتضع له ذهب ثلثا دينه**))

[ورد في الأثر]

المال قوة ، لذلك النبي الكريم يقول :

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

الذي معه المال متاح له أن يفعل من الأعمال الصالحة ما لم يتح للملايين من الناس ، المال قوة ، فقد يكون المال سبب شقاء الإنسان .

((بادروا بالأعمال الصالحة : ماذا

ينتظر أحدكم من الدنيا ، هل تُنظرون

إلا فقراً مُنسياً ، أو غني مُطغياً))

[أخرجه الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

حينما أهمله ، وأهمل كسبه ، أتضعض



، وأذل أحياناً ، وحينما عبده من دون الله شقي به في الدنيا والآخرة .

دائماً الإسلام وسطي ، والفضيلة دائماً وسط بين طرفين ، فالله عز وجل في قرآنه الكريم بين أن المال قوام الحياة ، ينبغي أن نكسبه من طريق مشروع ، وأن ننفقه في مصارف مشروعة . الأستاذ علاء :

سيدي ، يخطر في بالي سؤال : نسمع بين الناس كثيراً أن هنالك مَنْ افتقر ، فعف ، وترك أمره إلى الله ، واحتسب أمره عند الله ، والتزم ، ولم يحقد على مَنْ يملك ، ولم يمد يده إلى الحرام ، وهنالك من اغتنى ، ولكنه جعل هذا الغنى مجالاً للخير ، وصرف غناه في أوجه الخير ، مَنْ هو الأفضل مكانة عند الله ؟
الدكتور راتب :

ليس الفقير الصابر بأعظم أجراً من الغني الشاكر :



ليس الفقير الصابر بأعظم أجراً من الغني الشاكر ، هذا هو الجواب ، المال قوة ، وبإمكانك أن تمسح دموع الفقراء ، بإمكانك أن تزوج الشباب ، بإمكانك أن تقيم الميائم والمصحات ، بإمكانك أن تنشئ المدارس ، بإمكانك أن تصل بالمال إلى أعلى درجات الجنة ، يؤكد هذا قول النبي الكريم :

((لا حَسَدَ إِلا عَلَى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ ، فَقَامَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ
أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن عمر]

فقد رفع النبيُّ الغنيُّ المؤمنَ المحسنَ إلى مستوى أكبرِ الدعاة والعلماء ، فالمال قوة ، ويجب أن
نبحث عن المال .

الغنى بالطرق المشروعة ممدوحٌ :

ولكن هناك تعليق دقيق جداً : لأنك
بالمال متاح لك أن تفعل من الأعمال
الصالحة ما لا يوصف ، فينبغي أن
تكون غنياً ، ولكن إذا كان طريق الغنى
سالماً وفق منهج الله ينبغي أن تكون
غنياً ، أما إذا كان طريق الغنى على
أساس أن تتخلى عن دينك ، وعن
مبادئك ، وعن قيمك ، أو أن تخون
أمتك ، فالفقر وسام شرف لك ، فأنا



طريق الغنى يجب أن يكون حلالاً

أكون غنياً إذا كان الطريق إلى الغنى سالماً وفق منهج الله ، دون أن أبني مجدي على أنقاض
الآخرين ، ودون أن أبني غناي على فقرهم ، وحياتي على موتهم ، وعزي على ذلهم .
أتمنى من كل شاب أن يكون غنياً ، لأن الغنى متاح له من الأعمال الصالحة ما لم يتح لغيره ،
هذه نقطة دقيقة جداً .

١ - فقر الكسل :



هناك فقر الكسل ، هذا فقر مذموم ، وهناك فقر القدر ، في عاهة ، العاهة تمنعه أن يكسب المال ، صاحب فقر القدر معذور ، والمجتمع ينبغي أن ينهض لمساعدته ، لكن صاحب فقر الكسل مذموم ، هذه مشكلة كبيرة جداً ، الفقير فقر الكسل ليس محترماً عند الله ولا عند الناس .

دخل النبي على رجل يعبد الله في أقوات العمل ، قال له : من يطعمك ؟ قال : أخي قال :
((أخوك أعبد منك))

[ورد في الأثر]

أمسك النبي الكريم يد عبد الله بن مسعود ، وكانت خشنة من العمل ، فرفع يده أمام أصحابه وقال :

((إن هذه اليد يحبها الله ورسوله))

[ورد في الأثر]

التقى سيدنا عمر بأناس فقراء ، قال : >> من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون ، قال : كذبتم ، المتوكل من ألقى حبة في الأرض ، ثم توكل على الله << .



سيدنا عمر له ملمح لا يصدق ، مرّ ببلدة كل الفعاليات الاقتصادية فيها من غير المسلمين ، فلما عاتبهم أشد العتاب على تقصيرهم في كسب الأموال ، قالوا : إن الله سخرهم لنا ، كما يقول بعض الأغنياء الكسالى الآن : لقد سخرهم الله لنا ، فاشتد غضبه ، وقال : >> كيف بكم إذا أصبحتم عبيداً عندهم ؟ << .

أستاذ علاء ، الغني قوي ، والغني يتحكم في الفقير أحياناً ، وأنت لا تصدق أن تعمير محرك طائرة يكلف ٥ ملايين دولار ، أربع محركات ٢٠ مليون دولار ، مليار ليرة ، كم طناً قطن ؟ أصحاب التقنيات العالية يتحكمون ففي العام الآن .

الأستاذ علاء :

وقالوا : مَنْ يملك الاقتصاد يملك القرار .

الدكتور راتب :

مَنْ يملك الاقتصاد يملك القرار :

أنت قوي بقدر ما أنت غني ، وأنت تفتقر إلى حرية الحركة بقدر ما أنت فقير ، فلذلك المال قوام الحياة ، الذي أريد أن أؤكد : إذا كان طريق الغنى سالكاً وفق منهج الله ، ضمن مبادئك ، ضمن قيمك ، ضمن الطرق المشروعة ، ضمن القنوات النظيفة ، ضمن ما أُقِرَّ من قِبَل قيم السماء والأرض ، ينبغي أن تكون غنياً ، أما إذا كان طريق الغنى على حساب مبادئك ، وعلى حساب دينك ، وعلى حساب قناعاتك ، فلا مرحباً بهذا المال ، أو على حساب وفائك لأمتك ، لا مرحباً بهذا المال ، أقول لمثل هذا الذي ترفع عن هذا المال الذي تدفع ثمنه باهظاً جداً : فقرك وسام شرف لك .

٢ - فقر القدر :

أما فقر القدر فصاحبه ليس مذموم ، بل هو معذور .

٣ - فقر الإنفاق :

عندما فقر ثالث ، هذا فقر الإنفاق لأنه أنفق ، هذا موضوع ثانٍ ، أبو بكر أنفق كل ماله ، قال له النبي : يا أبا بكر ، ماذا أبقيت لك ؟ قال : الله ورسوله ، سيدنا الصديق افتقر ، لأنه أنفق ، وكل إنسان عنده مروءة لا يحتمل أن يتمتع هو بالحياة وحده ، وأن يرى حوله المعوزين البائسين الفقراء المرضى ، لذلك كلما ارتقت مشاعر الإنسان كان ماله في خدمة المجموع .
الله عز وجل قال :

﴿ وَكَأْتَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾

(سورة البقرة الآية : ١٨٨)

استنباطات من قوله تعالى : **وَمَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**

والله أستاذ علاء ، هذه آية فيها ملمح خطير جداً : مال أخيك هو مالك ، لا بمعنى أنه ملك لك ، بمعنى أنك مكلف أن تحافظ عليه كما لو أنه مالك ، هذه واحدة .
المعنى الثاني : أخوك ماله مالك ، بمعنى أن المال ليس ملكك حصراً ، بل ملك جميع المسلمين ، بمعنى أنه ينبغي أن تتفقه في الصالح العام ، أمّا أن تنتشي مثلاً لنفسك رفاهاً وبذخاً غير معقول فهذا شيء مذموم .



أنا أقول كلمة طريفة : مرة سألني تاجر : إذا اقتنيت الأشياء الغالية جداً إلى درجة غير معقولة هل أنا مؤاخذ ؟ أردت ألا أقنعه بالنصوص ، بل أردت أن أقنعه بالمثل ، قلت له : هناك رجل معه مئة مليون ، اشترى بيتاً بـ ٧٥ مليوناً ، وسيارة بـ ٢٥ مليوناً ، وما عنده دخل آخر ، يكون أحق ، اشترى بيتاً بعشرة ملايين ، واشترى وسائل

أخرى ، مركبة بمليونين ، وشغل الباقي ، ابحث عن هذا المال الضخم بدخل كبير .
هذا المال قوام الحياة ، وهو شيء أساسي يملكه الإنسان .
الأستاذ علاء :

سؤال : ماذا عن افتقار المال ؟

الدكتور راتب :

فقر كسل ، فقر قدر ، وفقر إنفاق .

الأستاذ علاء :

فقر الإنفاق هل هو في الذين ينفقون ، ويتملكون هذه المادة ، ويصرفونها ويشتتونها في أوجه خير الناس ؟

الدكتور راتب :

لست مكلفاً بإنفاق جميع مالك :

والله هذه بطولة كبيرة ، لكن الإسلام ما كلف الإنسان فوق طاقته ، فلذلك قال تعالى :

﴿ **وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾

(سورة البقرة الآية : ١٩٥)

العلماء حاروا في هذه الآية ، ما معنى التهلكة ؟ لكن النتيجة استقرت على أنك تهلك إن لم تتفق مالا في سبيل الله ، تأتي يوم القيامة مفلساً ، وتهلك مرة ثانية إن أنفقت كل مالك .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾

(سورة الفرقان)

فيهلك الإنسان إن أنفق كل ماله ، عنده النبي هاجر خفية ولو هاجر جهاراً لكان فعله ملزماً للمسلمين وأولاد ، عنده أساسيات الحياة ، ويهلك أيضاً إذا لم ينفق ماله ، أما سيدنا الصديق فحالة استثنائية ، هذا يسميه العلماء موقفاً شخصياً ، وليس حكماً شرعياً ، هي مرتبة له اختص بها ، لكن ليست حكماً شرعياً .

النبي الكريم لما هاجر انتقل سراً وخفية ، وفي الليل ، واتجه مساحلاً ، وقبع بغار ثور ، ثم هياً راحلة ، وهياً خبيراً ، وهياً من يحو الآثار ، أخذ بكل الأسباب ، أما سيدنا عمر فهاجر جهاراً نهاراً متحدياً ، الإنسان الساذج يقول : والله سيدنا عمر أشجع من النبي ، نقول له : عمر ليس مشرعاً ، لكن النبي مشرع ، لو أن النبي هاجر جهاراً نهاراً متحدياً فقد هلكت أمته من بعده ، ولأصبح أخذ الحيطة حراماً ، وأخذ الأسباب حراماً ، ولهلكت أمته من بعده ، لكن هو مشرع . النبي مشرعاً لم يقبل من أحد ماله كله إلا الصديق ، لم يقبل من أحد ماله كله ، لكن قبل نصف المال من عمر .

غنى الكفاف والعفاف :

المال قوام الحياة ، وهناك فقر الكسل ، وفقر القدر ، وفقر الإنفاق ، وهناك كفاية ، هناك غنى البذخ ، وهناك غنى الكفاية ، فإذا كان دخلك يغطي نفقاتك فأنت غني ، لذلك النبي في بعض أدعيته يقول :

((اللهم من أحبني فاجعل رزقه كفافاً))

[ورد في الأثر]



ليس فقيراً ، عنده كل حاجاته ، لكن من دون بذخ ، من دون سجادة ثمنها مليونان ، هناك سجادة جيداً وجميلاً وثمانها خمسة آلاف ، من دون بذخ

مقومات التكليف : الشهوة - شهوة الما

البذخ يولد أحقاداً في المجتمع

غير معقول ، والبذخ يولد أحقاداً في المجتمع ، الفقير إنسان له مشاعر ، يرى الآخرين غارقين في النعيم ، غارقين في البذخ .

حدثني إنسان قال لي : والله في بيته حنفيه بئس بيت ، من الذهب الخالص صنبور ماء بئس بيت بأكمله ! الناس يموتون من الجوع ، فلذلك الغني المؤمن يأخذ الحاجات الأساسية ، ويعود بماله على بقية الناس .
الأستاذ علاء :

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ :

((جَاءَ عُثْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْفِ دِينَارٍ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ، فَبَثَرُهَا فِي حِجْرِهِ ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقْلِبُهَا فِي حِجْرِهِ ، وَيَقُولُ مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، مَرَّتَيْنِ))

وبعدها لما قال : سمعت رسول الله يقول صلى الله عليه وسلم :

((قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً))

[أخرجه الطبراني ، والبزار ، والإمام أحمد عن عائشة أم المؤمنين]

فتبرع بكل القافلة .

الدكتور راتب :

إتلاف المال سفه ، وأشد سفهاً منه إتلاف الوقت :

أريد أن أتوجه إلى شيء ، الحقيقة ليس له علاقة متينة بالموضوع ، لكنه مهم جداً ، الآن إذا أصيب رجلٌ — لا سمح الله ولا قدر — بمرض عضال ، وهذا المرض يحتاج عملياته الجراحية خارج القطر مثلاً إلى مليوني ليرة ، ولا يملك إلا بيتاً ثمنه مليونان ، ماذا يفعل ؟ أنا أقول لك : إنني متأكد أنه لا يتردد ثانية واحدة في بيع بيته ، وإجراء العملية ، لماذا ؟ لأنه مركز في أعماق أعماقه أن الوقت أثمن من المال ، لأنه بهذه العملية يتوهم أنه سيعيش بضع سنوات أخرى ، أليس كذلك ؟ إذا ضحى ببيته الوحيد ، وأجرى عملية متوهماً من خلال إجراء العملية أنه سيعيش بعض السنوات الأخرى ، هذه مقدمة .

إذا أمسك الرجل بمئة ألف ليرة أمام أشخاص عديدين وأحرقها ، كم يحكم عليه من الحاضرين السفه ؟ الكل من دون استثناء .



إتلاف المال من السفه

إذا إتلاف المال سفه ، وإذا كان الوقت أثمن من المال ، فالذي يتلف وقته أشد سفهاً من الذي يتلف ماله .

الإيمان مرتبة علمية ، ومرتبة أخلاقية ، ومرتبة جمالية ، فإذا أردت أن تكون إنساناً بالمعنى الدقيق فتعرف إلى الله .

" ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتنك فانتك كل شيء " .

﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾

(سورة يس)

الأستاذ علاء :

خاتمة وتوديع :

نرجو الله عز وجل أن نفيد جميعاً بكل ما تقدم ، ومن كل هذا العلم الفياض ، ولا يسعنا إلا أن نشكر الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين بدمشق .

شكراً أستاذي الكريم ، وإلى اللقاء إن شاء الله في محطات قادمة لنكمل ما بدأناه في هذه الحلقة .

والحمد لله رب العالمين